**جامعة المسيلة ــ قسم التاريخ ــ أولى ماستر ــ تاريخ الجزائر الحديث**

**ـ مقياس :قضايا في تاريخ الجزائر الحديث**

**عنوان المحاضرة : القوى المحلية في الجزائر**

## 1 ـ العثمانيون والعنصر المحلي

حقيقة أن الطائفة التركية هي التي كانت تفرض وجودها على الحكم ولكن كانت توظف العناصر المحلية بشكل غير مباشر في توطيد الأمن ، مع أن العناصر التركية لم تكن تقبل أكثر من الحد اللازم لتأمين مصالحها ، فمثلا لما أراد الداي علي خوجة في 1717 إعادة النظر في تشكيل المؤسسة العسكرية ، فتقرب أكثر من ذي قبل للعنصر الكرغلي ـ الأب التركي والأم الجزائرية ـ وكذلك استخدام فرق عسكرية من قبائل الزواوة وصلت إلى حد ألفي رجل ،[1] ، هو يعلم المخاوف المحدقة به ، فنقل مقرر الحكم من قصر الجنينة إلى حصن القصبة ، وفعلا فقد ثارت الجالية الانكشارية واستعان بالكراغلة ومجندي الزواوة للقضاء على التمرد وكان نتيجة ذلك تصفية أكثر من 1200انكشاري و150 ضابط بلوك باشي ، ورغم نهاية هذا الداي في وقت قريب بسبب المرض . لكن الأمور عادت إلى سابق عهدها .

## 2 ـ قبائل المخزن

لعلنا تناولنا بالدراسة التوزيع العام للقبائل والأعراش في الجزائر العثمانية وبتفاوت في التفاصيل حسب المعلومات المتحصل عليها ، وهي في الغالب تحتوي بُعد القبيلة سواء كانت في الريف أو في المدينة . ولكن أهمية الريف كانت له قيمته في ظل الدور الذي يلعبه سياسيا واقتصاديا والمهام العسكرية قي العهد العثماني .

والريف عموما كان يندرج تحت قبيلة كبرى ولها نفوذها في المحيط الجغرافي ، وكانت السلطة العثمانية تحتوي هذه الأرياف من خلال احتواء القبائل الكبرى أو ما تسمى بقبائل المخزن . وبالتالي ظلت هذه القبائل وبالتالي ظلت هذه القبائل تمثل حلقة وصل بين السكان والسلطة العثمانية وهي

[1] . ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر منطلقات وآفاق ، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 2000 ، ص 173.

العمق الاجتماعي والاقتصادي للدولة لأن غالبية السكان كانوا في الأرياف ما يقارب 95 بالمائة ، وفي نفس الوقت لها مهام إدارية وعسكرية عند الحاجة ، والمخزن أسلوب متميز بالنسبة للأتراك في الجزائر . وقد أوردنا هذا النمط من الدراسة هنا لنوضح أن مفهوم الهوية والنسب والانتماء هو يشهد بعض التغيرات مع مرور المراحل التاريخية ، لأن انتماء المخزن قد يشمل العديد من الأعراق المختلفة والأسر المتجمعة تحت مصطلح المخزن ، والعامل المشترك بينها هو الظروف الاجتماعية والسياسية تحت الزعامة الجديدة ، وبالتالي من العائلات من أخذت انتسابا جديدا بحكم الإقامة والوظيفة ، فظهرت قبائل : الغزازلة والعبيد والعثامنة وغيرها وأخرى حسب الموطن مثل الزواتنية التي أقامت على ضفتي وادي الزيتون رغم أنهم كراغلة ، والمكاحلية لأنهم يحملون نوعا معينا من السلاح .

ولعل الحكم العثماني أنه استطاع إيجاد مفهوم ووظيفة جديدة للقبيلة وهي نسيج اجتماعي واقتصادي وعسكري جديد في تاريخ الجزائر، ومن خلاله تتحكم السلطة في أطراف البلاد مقابل أنواع من الامتيازات ،ومن هنا صار نوع جديد من التعريف الذي تحمله القبيلة من حيث قربها أو بعدها من السلطة العثمانية ، وقيل أن السياسة العثمانية شهدت مراحل متعددة فأثناء القرن السادس عشر كانت تستعين بالمتطوعين من زواوة والقبائل المحيطة والاعتماد على قبائل حليفة عند الضرورة مقابل مزايا معينة.ولكن في الغالب في هذه المرحلة لم تكن للقبيلة مهام عسكرية وإدارية تذكر لأن العثمانيين كان تركيزهم في هذه المرحلة على المدن وتنصيب القادة الأتراك في الأراضي الخاضعة لهم .

ولكن مع تطور الحكم واستتباب الأمن أرادت استثمار البعد الاجتماعي والقبلي في توطيد دعائم الحكم ومزيد من الضرائب التي أثقلت السكان في هذه المرحلة بواسطة قبائل المخزن وتجسد ذلك في القرن السابع عشر في عهد الباشوات. وقد لعبت قبائل المخزن حينها الدور المركزي في دعم وتوجيه الحاميات الانكشارية التي تخرج مرتين في السنة لجلب الضرائب في كل من العاصمة ووهران والمدية ومعسكر وقسنطينة وتمسح الأرياف الجزائرية بواسطة المخازنية للتحصيل المالي مما أثقلهم وسبب العديد من التذمر والانتفاضات [2].

ونعتقد أن هذه السياسة الجبائية الثقيلة ليس بفعل قادة المخزن بقدر الحاجة المالية للباشوات الذين ينشدون الثراء أو عند نقص الموارد. ومن هنا فقبائل المخزن صارت جزء من الحكم ولها مهام منوطة بها تجاه الحاكم ، وإن صح التعبير فهي أحد أوجه السلطة في الأرياف .

أما خلال القرن الثامن عشر فقد شحت الموارد من البحر ولذلك اتجه الحكام للداخل وزاد ارتباطهم بقبائل المخزن ونشاطها داخل البلاد إضافة إلى المشاركة في الحملات الإدارية والحربية.وهنا

[2] – ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ، ص 260.

حسب الدكتور سعيدوني ناصر الدين أن العثمانيين تعاملوا مع السكان على أساس الواجبات والحقوق وليس كرعايا خاضعين لهم .

ولهذا صنفت قبائل المخزن عل أساس أنها متحالفة مع النظام القائم ضمانا لمصالحها وتنامت هذه الظاهرة مع التطور التاريخي للبلاد ، وهي مرحلة نعتقد أن البعد القبلي بدأ يتهاوى أمام سطوة المخزن ، ومع نهاية الحكم العثماني أصبح البحث عن ملاذ الحماية في كنف السلطة أكثر .

وقد كانت السلطة التركية تأخذ بأقوى القبائل لكي تكون في خدمة المخزن ، وبطريقة أخرى تحكم البلاد وخاصة في الداخل بحكم المساحة المترامية وعدد الجنود الأتراك المحدود الذي لم يتجاوز في أحسن الحالات 12 ألف رجل ، بل وصل في آخر أيامها إلى أقل من أربعة آلاف رجل .[3]

ومن أمثلة هذه القبائل قبائل الدوائر والعبيد التي تساهم ب1200محارب و600فارس

- دوائر ميلة تجند أكثر من 1000فارس
- دوائر جميلة وواد زناتي ما يقارب 1000فارس

وهذه الطريقة مكنتهم من تقليل النفقات الدائمة على الجند وتعويضها بخدمة القبائل مقابل مزايا معينة، وكان نوع من تبادل المنافع بين الطرفين، وإن كان على حساب سكان الأرياف غالبا.

فالمشهد القائم أنه بفضل المخزن سيطروا على الوضع وأبعدوا خطر القبائل الجبلية والحد من عصيانها مثل سكان : جرجرة والبابور والأوراس وبني مناصر ، والونشريس وبني شقران وطرارة وغيرهم ممن تحصن بالجبال وبقي منعزلا في مناطق فقيرة ، وإذا ما اقترب من فرسان المخزن انخرط في قبائلها ، وفي الغالب أن السلطة التركية حاولت أن تدرج معظم القبائل في هذه السياسة بالتدريج وعن طريق ذلك أخضعت حتى القبائل الثائرة سابقا ودخلت في اللعبة مقابل امتيازات ، ولكنها تكلف بمراقبة للمنطقة . وفي الغالب عم ربوع البلاد الاستقرار بفعل هذا الأسلوب .

ويعتبر هذا الأسلوب في الحكم أهم ظاهرة في توظيف العشائر الكبرى لصالح السلطة مقابل الإعفاء من الضرائب الإضافية[4] التي تسلط على الرعية ، ولهذا أحيانا تتسلط بعض القبائل في ممارسة هذه الوظيفة كما هو الحال لدى قبائل أولاد عبد الله الذين كانوا يراقبون المنطقة الواقعة بين بوسعادة وسيدي عيسى ، ونفس الشيئ نالته عشيرة أولاد عياد جنوب الونشريس، وكذلك قبيلة أولاد مختار جنوب التيطري .فالسلطة التركية كانت تتغاضى عن بعض الممارسات القبلية بحكم نفوذها العشائري والمناطق التي تحرسها .

---

[3] – نفسه ، ص 261.

[4] – كانت هذه الضرائب تسمى اللزمة أو الغرامة في الغرب الجزائري ، وفي بالك الشرق تسمى الحكور والجبري والغرامة والمؤونة

### 3 ـ استعمال النسب الشريف في خدمة السلطة المركزية :

كان الأتراك يدركون الدور البالغ للعائلات التي تعطي لنفسها النسب الشريف لما لها من امتداد اجتماعي وقداسة في المنظور الديني والاجتماعي ، ولهذا أحاطت العائلات الشريفة بشيء من الاحترام والامتيازات الضريبية . والوجاهة لدى السلطة التركية . وأحيانا كانت تمثل الوسيط الاجتماعي لدى السلطة التركية ، وكانت هناك بعض الأوقاف التي تنسب إليهم : أوقاف الأشراف .

وهي بهذا السلوك تقرب إليها هذه الفئة لاحتوائها من جهة ومسك خيوط المجتمع من خلال احترام العائلات الشريفة .

وأخذا بما ورد في العديد من الكتب والقصائد فإن الاهتمام بالأنساب ربط بشكل وثيق مع قضية الشرف والعراقة والانتساب لآل البيت، وهي ظاهرة سادت تلك المراحل حتى تضفي على نفسها نوعا من القداسة والاحترام وأحيانا بعدا سياسيا. لدرجة أنها تنسب الكرامات والبركة لمن انتسب لعائلة شريفة . واستمرت هالة الانتساب الشريف خلال الفترة العثمانية واستغلالها لصالح الولاء للعثمانيين .

وبقي النقاش حول النسب الشريف مستمرا حتى عهد الاحتلال الفرنسي . فقد ظهر نقاشا حادا بين مؤيديه ومعارضيه كما كان الحال بين عاشور الخنقي الذي انتصر للأشراف ومحمد الصالح بن مهنا الذي هاجمه على هذا المعتقد وأيده في ذلك محمد بن عبد الرحمان الديسي .

ومن الذين أشاد بهم وبنسبهم الشريف أبي التقى الذي قال أنه من فاس وهو دفين برج بوعريريج وقال فيه :

إليك أبا التقى مولى الموالي  حقيق لو دروا شد الرحال

لينتجعوا هماما هاشميا  سريا من ذؤابة خير آل

شريفا فاطميا حيدريا أب سلالة تاج أرباب الكمال [5]

وكما أنشد في العديد من الأشراف ومنهم : محمد السعيد بن زكري وعبد القادر بن رزيق .

وكثير من الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع لاحظت بعض الصراع أحيانا بين المرابطين وكبار العائلات المتنفذة وهذا خوفا من تنامي نفوذ أحدهما على الآخر ، وهذا شيء طبيعي إذا كان الطرفان بينهما حساسية وصراع ولكن يبدوا أن هذه الظاهرة عمت أكثر عند دخول الفرنسيين البلاد فراح بعض الرجال من أصحاب السيف ـ كما كانوا يلقبون ـ ويقصد بهم الزعامات القبلية ينافسون رجال الطرقية على مكانتهم في المجتمع ولدى السلطة الفرنسية التي كانت تسعى لافتعال هذه الأشياء للوقيعة بين الأطراف الفاعلة حتى تضعف الجميع .

ولهذا قيل أن الفرنسيين بدأوا يعتمدون على رجال الدين بدل رجال السيف والقياد ابتداء من الستينات من القرن التاسع عشر[6] .

كان للعائلات الشريفة[7] دورا هاما في الحضور الاجتماعي والسياسي أحيانا ، ففي مدينة الجزائر مثلا كانت هناك عدة عائلات تلبس هذا النسب ولها الحظوة الاجتماعية ومنهم عائلة الزهار ، وعائلة المرتضى ، وغيرها وكان لهذه العائلات نقيب يسمى نقيب الأشراف والذي يتمتع بمكانة مرموقة لدى رجال الدولة وهو من الذين يمضون وثيقة تعين الباشا الجديد إلى جانب المفتي والقاضي ، وأعضاء الديوان والأعيان .[8]

---

[5] ـ سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 7 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1998 ، ص 333..

[6] ـ سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 7، مرجع سابق ، ص 381.

[7] ـ العائلة الشريفة في العهد العثماني هي التي استطاعت أن تنسب انتماءها العائلي إلى آل البيت، وكانوا في مدينة الجزائر يلبسون العمامة الخضراء، ومن الفئات المتميزة في الجزائر.

[8] ـ ياسين بوديعة ، " زاوية الشرفة 1709 ـ 1848 ـ نموذج للمؤسسات الاجتماعية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني" ، مجلة الدراسات التاريخية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 2 ، ع 15 ـ16 ، 1434/ 2013، ص ص 173 ـ 193 .

### 4 ـ السلطة الزمنية وتعاملها مع السلطة الروحية

أصبح للمرابطين في الفترة الحديثة وخاصة منذ القرن السادس عشر بالجزائر يسيطرون على المشهد الاجتماعي والديني ولذلك صارت السلطة الزمنية تطلب ود هؤلاء بطريقة أو أخرى ، وهناك من يذكر أن ثلثي سكان الجزائر تحت تأثير المرابطين ، وبالتالي فلا غرابة أن تكون مفاتيح المجتمع بأيدهم .[9]

## 5 ـ العلاقة مع المرابطين

كان العثمانيون قد ركزوا منذ البداية على ربط علاقات جيدة مع المرابطين ، وخاصة أن الأخيرين رأوا فيهم المنقذ من الأعداء الذين سيطروا على السواحل ، وتعاونوا معهم لإنقاذ الأندلسيين المهجرين ، وكان عملهم لتخليص جيجل وبجاية من الإسبان والعاصمة من الحصار و الضرائب الاسبانية .

إذا فالعلاقة المبكرة بين العثمانيين والمرابطين ساهمت في ربطهم بالمجتمع وإنجاز المشروع العثماني بالغرب الإسلامي .فاستفادوا من ولاء السكان والدعم المادي والمعنوي وحتى بالفرسان لتسيير الحملات وتحرير العديد من السواحل ودخول مناطق برية أخرى مثل تنس والمناطق الداخلية . بل أن العثمانيين استفادوا من تقريبهم للمرابطين في احتواء ثورة القبائل التي فرضوا عليها الضرائب . وكانت هذه العلاقة قد منحت بعض الامتيازات للمرابطين كالحماية وبعض الامتيازات المادية كما حصل مع المرابط محمد بن شعاعة زعيم قبيلة بني زروال الذي أخذ جزء من الجزية التي يقدمها اليهود في مستغانم مقابل خدماته للعثمانيين .[10]

---

[9] ـ سعد الله أبو القاسم ، **على خطى المسلمين** ،حراك في التناقض ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2009 ص 193.

[10] ـ نفسه ، ص 196.

والأكيد أن الترغيب والترهيب كانا حاضرين معا في صناعة هذا التوجه العثماني لأن المرابطين يدركون أن السلطة الزمنية (التركية ) عازمة على إزاحة كل العقبات التي في طريقها بما فيها الزعامات الروحية ، ورأت العديد من الحالات التي أقدمت فيها على إزاحة خصومها السياسيين .

وربما أحسن حال كان في التعامل مع عائلة أولاد عبد المؤمن التي كانت على علاقة مع الحفصيين ، فلجأت الدولة العثمانية إلى تقريب عائلة الفكون فهيمنت على المشهد الديني والسياسي والقضاء والإفتاء وركب الحج ، والإعفاء من الضرائب لقرون .

وهناك نموذج آخر في الغرب : الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الشاذلي الذي كان لا يروقه التقارب الزياني والاسباني وفضل القوة العثمانية التي وفرت الحماية للبلاد من الحملات الصليبية وفي نفس الوقت حضي لدى العثمانيين بالجاه والامتيازات .فكان من أثر ذلك أن مالت المنطقة بالولاء للعثمانيين وصار لهذه الأسرة الاحترام الكامل وتعدى الأمر إلى المصاهرة بين هذه الأسرة ودايات الجزائر .

وعملا بالسياسة العثمانية التي استمرت في احتواء فئة المرابطين والصوفية كان عليها المزيد من الهدايا في المناسبات الدينية ، ومزيد من الأوقاف للمؤسسات القائمين عليها لتكفي حاجتهم وحاجة تلاميذهم ، ومنحوهم الامتيازات المعنوية والمادية . وأحيانا صارت زواياهم ملاذا لكل هارب من العقاب من قبل السلطة سواء من العامة أو حتى أصحاب النفوذ ، وكأنها مقرات يتحصن بها الهارب من السلطة فتجيره لما لها من حرمة ووجاهة .

وحتى أبناء هذه العائلات الصوفية والمرابطية والعلماء والقضاة أصبحوا يتوارثون هذه المقامات والمناصب ، وخاصة في الريف الذي يعد القضاء الأرحب لنفوذ الطرق والصوفية ، ودان لهم معظم سكان الأرياف بالولاء والطاعة لما لهم سلطة روحية ووجاهة ، وظل هؤلاء السكان يقدمون الخدمات المتعددة لهذه السلطة الروحية رغم سيادة الفقر والحاجة الكبيرة بينهم .

## 6 ـ استعمال الطرق الصوفية والعلماء في وجه الثورات المحلية

بحكم انتشار العلماء والفقهاء وخاصة في المدن الكبرى ، وكذلك الطرق الصوفية في الأرياف ، وكثرتها وتعددها وانتشارها عبر البلاد حاول العثمانيون الاستفادة من هذا النفوذ الروحي والقبلي في نفس الوقت ولهذا استنجدوا بهم عند قيام الثورات مثل ثورة الذواودة وثورة أحمد بن الصخري . فمنهم أيد الحكام مثل الفكون ، واحمد بن الساسي البوني ومنهم من آثر الهجرة مثل : عيسى الثعالبي نحو مصر ، وأحمد المقري الذي هاجر إلى مصر والقدس والحجاز حتى وفاته [11].

ومن العلماء المتصوفة الذين كانوا يؤدون دورا في إخماد الفتنة محمد العبدلي ، ورغم أنه كان من الذين يخرجون للجهاد ضد الإسبان ولكنه كان يتوجه بالنصح للسلطة التركية بالنصح والوقف عن سفك دماء الرعية ، وكانت نهايته أن غدر أثناء عودته من الصلح بين الرعية والحاكم التركي بالعاصمة.

ونفس التوجه عرفه العالم الكبير : محمد بن سليمان الخروبي [12] ، فرغم أنه عرف بالتصوف والعلم والمقام المحترم بين أوساط السلطان إلا أنه لم يتخل عن وظيفة الجهاد ضد الإسبان وهو الأمر الذي يتقاطع فيه مع النظام التركي وجعل له قيمة واحترام . ولكن هذا الموقع لم يحل بينه وبين قول كلمة الحق في وجه الأتراك .

فأثناء الضيم الذي مس سكان تلمسان من بطش الأتراك وثورتهم على الحكم . كان للخروبي موقف واضح من حيث أنه وصف الأتراك بالظلمة والسلطة الجائرة واستعمال الغدر والسم [13]...وتوجه بالنصح للحاكم التركي : محمد بن سوري والكف عن الظلم ، وفي نفس الوقت دعا إلى درء الفتنة والتهدئة العامة وتوفير الأمن وتحكيم الشرع في مثل هذه القضايا .

---

[11] . توفي في 1041هـ / 1631.

[12] . من علماء الغرب الجزائري عرف بالتصوف والجهاد ضد الاسبان معتبرا إياه نوع من الرباط وولد في 1014هـ / 1605 .

[13] ـ سعد الله أبو القاسم ، **على خطى المسلمين ، مرجع سابق ، ص 208** .

فالشاهد أن بعض المرابطين والمتصوفة الذين لهم سمعة كبيرة قد أدوا دورا وسيطا بين العامة والسلطة ،ة ولكن لما أحست السلطة بأن مسار هؤلاء لم يعد يرقهم ضربت على أيديهم وهو أمر يدل على أن المرابطين والمتصوفة وقعوا بين نارين : إما إرضاء العامة ودفع المظالم التركية والعصيان أو دعوة الناس للتهدئة و تحت مسمى محاربة الفتنة . مما ألحق بهم الكثير من الضرر والمتاعب وأحيانا القتل وفي مواقف حرجة .

والملاحظ أن العلاقة بين السلطة للمتصوفة كانت وراءه عدة عوامل وخاصة في الغرب الجزائري فبعضها مرتبط بالولاء والمساندة لأشراف المغرب ( الذين كانوا في نزاع مع السلطة الزمنية بالجزائر ) مثل الشاذلية و التيجانية ، ومن جهة أخرى مصالحهم مع سكان الجزائر وحفظ السلم والعمل على إصلاح ذات البين مع السلطة وبالتالي وقعوا بين ضغوط العامة ورفع المظالم ، والسلطة ، وميولهم نحو أشراف المغرب .

وهناك من ربط الهجرة الجماعية لقبائل الشراقة وبعض سكان تلمسان إلى المغرب خوفا من انتقام السلطة التركية مهم بسبب ميولهم لأشراف المغرب [14]. وهناك هجرة لعدد من العلماء من تلمسان نحو المغرب أثاء ما يسمى بالفتنة الكبرى بين علماء تلمسان والسلطة التركية أمثال محمد العقباني ، وأحمد العبادي وأبي عبد الله شقرون [15]

وفي الشرق الجزائري كان تأثير الطرق الصوفية قليل التأثير رغم وجود الشابية أما الشاذلية والقادرية فكان وجودهما ضعيف .وكان معظم السكان تابعين لمشايخهم المحليين ، وظل الفقهاء والعلماء يمارسون نشاطهم بحرية وهناك نوع من الانسجام بين السلطة والعلماء . ورغم ذلك شهد الشرق الجزائري العديد من الثورات كثورة الشيخ سيدي يحى الأوراسي وثورة أحمد بن الصخري (1637-1647 ) ونتيجة لهذه الثورة وقع عيسى الثعالبي في امتحان صعب والذي هاجر في الأخير نحو

[14] ــ بن سالم الصالح ، الهجرة ودورها في تمتين أواصر الثقافية بين الجزائر العثمانية والمغرب السعدي ، الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية الجزائرية ، ، ج2 ، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير ، ط1 ، 2017 ، ص 596.

[15] ــ نفسه .

المشرق. وهناك من نظر إلى أن المرابطين والصوفية كانوا في الشرق الجزائري بين الولاء للحفصيين والأتراك. .

ولاشك أن الأتراك في الشرق الجزائري استفادوا من العلاقة الهشة بين العلماء والمتصوفة وأدعياء المعرفة وبالتالي كانت السلطة تتحكم في تسيير الأمور ، ومن جهة كان التعامل مع العلماء الذي يدينون لهم بالولاء كما حصل مع آل الفكون على حساب آل عبد المؤمن الذين نظروا إليهم على أنهم أقرب إليهم .